عيسى عليه السلام

عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها

إلى مريم وروح منه:

معجزاته :

عبر وعظة للقلوب القاسية:

1 - أجلها كلامه فى المهد صبيا.

2 - إحياء الموتى بإذن الله عز وجل.

3 - إبراء الأكمه والأبرص.

4 - ينفخ فى الطين فيكون طيرا بإذن الله.

* * * * * * * * * * * *

عيسى عليه السلام

النبى عيسى عليه السلام رابع أنبياء أولى العزم ولقبه روح الله والمسيح، وهو صاحب شريعة وكتاب، وشريعته كانت مكملة لشريعة موسى عليه السلام، وعيسى أول نبى كلم الناس وهو فى المهد وبشر بنبوته، وله شبه بآدم عليه السلام حيث خلقه الله من تراب ونفخ فيه من روحه، وعيسى خلقه الله سبحانه وتعالى من غير أب ومن أم عذراء. أمه مريم بنت عمران، وعمران من سلالة داود وهو من أصفياء بنى إسرائيل، وزوجة عمران تسمى (حنا) ولم يكن لها ولد، ودعت ربها أن يرزقها ولدا صالحا وعندما حملت نذرت وهى فى محراب عبادتها قائلة: يا رب إنى جعلت ما فى بطنى محررا ليخدم الدين فى البيت المقدس ولا يعمل عمل غير العبادة وخدمة الدين.

قال تعالى فى كتابه الكريم: **{إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}** (1).

وعندما وضعت حملها كان المولود أنثى فسمتها مريم ونادت ربها إنى وضعتها أنثى وليس الذكر كالأنثى كى أجعلها فى المسجد خادما كما نذرت، وإنى أعيذها وذريتها بك من شر

(1) سورة آل عمران، الآيتان:35، 36.

الشيطان الرجيم. فجاءها النداء: إنا رضينا بها خادمة للدين وستلد ولدا يرفع كلمة الله وسيعم دينه المشرق والمغرب وعندما بلغت مريم السابعة وصارت مؤهلة للخدمة ذهبت أمها إلى بيت المقدس حيث كان زكريا وأولاد الأنبياء والعلماء قد جلسوا فى المحراب يكتبون ويتلون التوراة.

فقالت أمها لزكريا: إننى نذرت مولودى هذا لخدمة المسجد ولم أعلم بأنى سألد أنثى، والآن وقد وضعتها أنثى فأريد أن أفى بنذرى وجئت بها لتكون خادمة فى المسجد.

فقال زكريا: الحل فى القرعة. ألقوا أقلامكم فى الماء وكل من يطفو قلمه على الماء فهو الذى سيكفل مريم. وألقوا أقلامهم فى الماء فلم يطفو منها إلا قلم زكريا.

فقالوا له: لقد اختارك الله سبحانه وتعالى لهذا الثواب وكان زكريا شيخا محترما جليل القدر بين قومه، فأمر بأن يقوموا باحترامها وأسكنها زاوية من المسجد وهيأ لها مكانا معزولا لكى تنقطع للعبادة، وكان زكريا يأتيها أحيانا ليتفقد أحوالها ويقوم بخدمتها.

ومرة حدث أن بقيت مريم ثلاثة أيام وقد نسى زكريا أن يأتيها بطعام أو شراب، وعندما جاء زكريا ليتفقد أحوالها ودخل عليها المحراب وجد عندها فواكهة فى غير موسمها ولا مثيل لها فى تلك البلاد فتعجب وسألها: أنى لك هذا؟

فقالت مريم: من فواكه الجنة.

فازداد احترام مريم وعرفوا بأنها تحظى بالرعاية الإلهية وبقيت مريم على هذا الوضع من العزة والاحترام عابدة متنسكة حتى بلغ عمرها أربعة عشر عاما.

قال تعالى فى كتابه الكريم:{فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ *هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء *فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاء *قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ *وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ *يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ *ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ}[1].

وعندما بلغت مريم الطمث قالت: لا مكان بعد لى فى هذا المسجد فاستأذنت من زكريا بترك المسجد والذهاب إلى بيته حيث

(1) سورة آل عمران، الآيات:37 - 44.

كانت زوجة زكريا خالة مريم، فيممت مريم وجهها شطر ماء لتغتسل به، وعندما اغتسلت وارتدت ثيابها لاح إلى نظرها شيخ نورانى فاضطربت وقالت أعوذ بالله منك إن كنت تقيا.

فقال لها الشيخ: أنا ملك مرسل من قبل الله لأبشرك بأن الله وهب لك غلاما طاهرا ومباركا وصادقا.

فقالت مريم: كيف يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر؟

قال لها جبرائيل: كما قلت ولكن هذا المولود سوف يكون آية من آيات الله الكبرى لأن الله سبحانه وتعالى يسير الأمور بأسبابها إلا المعاجز فإنها تكون بتدخله المباشر وهى دلائل عظمته.

فنفخ فى جيبها الأمانة الروحية فرجعت مريم إلى بيتها وانشغلت بالعبادة وكانت فرحة ومشغولة بالتفكير فيما حدث وخائفة من أن يتهمها الناس بذنب هى بريئة منه، وكانت مدة حمل مريم قصيرة جدا وعندما حان وقت وضعها أمرها جبرائيل أن تخرج من البيت وتتخذ لها مكانا بعيدا عن المدينة.

وفى الصحراء وتحت ظل نخلة يابسة أحست بدنو ولادتها، وهناك وضعت مريم حملها وكان ولدا مقدسا، وفى تلك اللحظات أخذت تفكر وتقول يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا حتى لا أكون عرضة للوم الآخرين.

قال تعالى فى كتابه الكريم يصف هذه المشاهد:**{إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ**

وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاء إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ * وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ * وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [1].

وفى سورة أخرى نرى القرآن يصور هذه الحوادث بشكل جميل إذ يقول: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلاَمًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا * فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا * فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا} [2].

وفجأة اخضرت النخلة اليابسة ونبعت عين ماء من تحت قدم المولود.

(1) سورة آل عمران، الآيات: 45-49.
(2) سورة مريم، الآيات 16-24.

وجاء النداء لمريم: أيتها العذراء الطاهرة لا تحزنى وكلى من تمر هذه النخلة ولا تكلمى الناس واتركى الجواب لوليدك، وكان من عرف ذلك الزمان اعتبار الصمت وعدم التكلم صوما ولما جاءها آل زكريا وشاهدوها على ذلك الحال سألوها عن سر هذا الأمر؟ وقال لهم أحدهم وهو يلومها: ما كان أبوك امرأ سوء

ولم تكن أمك بغيا فما هذا الذى نراه معك؟ فأشارت مريم بأنها صائمة ولا تكلم أحدا وأن اسألوا المولود.

قال: كيف يستطيع الطفل أن يتكلم ويكشف لنا الحقيقة، لم نر أبدا طفلا صغيرا يستطيع الكلام، فبادر عيسى عليه السلام قائلا: إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وبرا بوالدتى ولم يكن جبارا عصيا وسلام علىَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا.

وجاء النداء الربانى لمريم كما يصور القرآن الكريم: **{وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا * فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا}** [1].

فعرف بنوا إسرائيل ان سوء ظنهم بها يعتبر ظلما لها

(1) سورة مريم، الآيات 25 - 30.

وتحيروا فى أمر عيسى، فآمن به بعضهم بعدما انتشر خبره، وأول من آمن به يحيى بن زكريا وهو ابن خالته وبعضهم بقى مصرا على العناد وسوء الظن، ولما أخذ الأعداء يؤذون مريم بألسنتهم اللاذعة جاء الأمر بأن تهاجر مع ولدها إلى الناصرة وبقيت هناك محترمة من قبل المؤمنين إلى أن كبر عيسى فكان يذهب إلى بيت المقدس ليلتقى مع أولاد الأنبياء وكتاب التوراة ليتذاكر معهم، ولم يكن أحد بقادر على أن يأتى بجواب ما لديه من الحكمة والأدلة فاعترفوا بحكمته، وعندما بلغ عيسى الثلاثين من عمره أنزل الله عليه كتاب الإنجيل وأمر بدعوة الناس، ورجع إلى بيت المقدس ومن هناك أخذ يدعوا الناس إلى دينه الحق ولمدة ثلاث سنين، وأخذ يبين لهم الأحكام النازلة فى الإنجيل ولأنه من الأنبياء أولى العزم فانه أخذ يرى المعاجز فى هذه المدة ومن بينها إحياء الموتى وإبراء المرضى الذين يصعب شفاؤهم بدعائه، وبالنفس المسيحى المبارك أرجع البصر إلى الذين ولدوا فاقدين أبصارهم فآمن به بعض اليهود بإخلاص وصفاء وكذب أكثرهم ولم يذعنوا لقول الحق، وكانوا يتهمونه بالسحر ويقولون هناك اختلاف بين التوراة والإنجيل وحسبنا كتاب التوراة وكفى.

فاستمر عيسى يروج الأحكام الإلهية بلطف وعطف، وانتخب من بين المؤمنين برسالة إثنى عشر شخصا أسموهم (الحواريون) كانوا يلازمونه دائما ويمتثلون لأوامره ويسعون إلى هداية الناس من أى مكان يرونه مناسبا، وعندما أخذ أنصار عيسى يكثرون فى

بيت المقدس وفى المدن الأخرى، خاف اليهود وأخذوا يوسوسون لملك اليهود ويؤملونه ويخوفونه بقولهم: إن عيسى لايريد أن يغير دين موسى فقط وانما يبشر بنبى بين العرب وعن قريب ستزول عزتنا وملكنا، فألبوا ملك اليهود على قتل عيسى، وعندما تجذر دينه ورسخ أسس المحبة والأخوة فى قلوب المؤمنين والصالحين علم أن مهمته قد انتهت فاشتاق إلى القرب من ربه لأنه كان وحيدا فى هذه الدنيا وليس لديه أحد سوى أمه، وكان لا يتمنى من هذه الدنيا إلا صلاح الناس وهدايتهم وسعادتهم، وعندما تكاملت مهمته جمع الحواريين فى ليلة لينصحهم النصيحة الأخيرة، فأوصاهم بنشر تعاليم الإنجيل فى أى مكان يذهبون إليه، فإن التوراة والإنجيل يعتبران أساس الفلاح والصلاح، وفى ختام نصيحته أخذ عيسى يكرم ويعظم ويعطف على الحواريين ويلاطفهم.

وعندما سألوه عن سر حديثه معهم بهذه الصورة قال: أريد أن أكون قدوة لكم فى كيفية التعامل فيما بينكم من بعدى بعد ذلك قال لهم: أتأسف على أن أحدكم سيرتد قبل طلوع الفجر وسوف يبيع دينه بمبلغ زهيد، فأظهر الحواريون أسفهم من هذا الخبر وقالوا: إن هذا غير ممكن أن نخون شخصا كريما مثلك، ولكن عندما جاءت شرطة السلطان اليهودى فى طلب عيسى ليصلبوه، ذهبوا فى طلب بعض الحواريين ليسألوهم عن عيسى وكان الوقت ليلا فقالوا لهم: لا علم لنا به وبمحل إقامته، لكن أحدهم طمع بمال الدنيا وأخذ الرشوة وقام هذا التلميذ الخائن بإخبار الأعداء بمحل

عيسى فألقوا القبض عليه وأخذوا يوجهون لـه الكلام الخشن وقالوا لـه: إذا كنت تدعى الإعجاز فنجى نفسك منا ومن الصلب.

فقال لهم عيسى: إن كل ما يريده الله سيكون، وعندما جمعوا الناس وأرادوا صلبه غاب عيسى بقدرة الله عن أنظارهم ورفعه الله إلى السماء ولكنهم بعد أن أعلنوا بأنهم سيصلبون عيسى وينهون أمره ولأن عيسى غاب عن أنظارهم أخذوا يبحثون عنه فى كل مكان فعثروا على تلميذه الخائن حيث كان يشبهه فخيل لهم بأنه هو فصلبوه بمكان عيسى وقالوا لليهود: انتهى الأمر.

وهكذا ذهب عيسى إلى مقام القرب من الله وتحمل الحواريون من بعده العناء والمصاعب فى سبيل نشر دين عيسى وشريعته وأخذ اليهود يناصبونهم العداء فى كل مكان، وكانت تلك الأيام صعبة جدا حيث إن حفظ ما كتب من الإنجيل أصبح أمرا ليس بالهين وكذلك أخذوا يتداولون روايات مختلفة باسم الإنجيل، ومرت سنين إلى أن اعتنق ملك الروم المسيحية، ومن ذلك اليوم فقد أرسى الدين المسيحي قواعده فى أرجاء العالم، واتخذ المسيحيون من ولادة عيسى عليه السلام بداية لتاريخ جديد وكانت الفترة بين عصر عيسى عليه السلام إلى عصر محمد صلى الله عليه وآله وسلم النبى الخاتم ما يقارب الستمائة سنة.

لم سمى عيسى مسيحا؟ ولم قيل له روح منه؟

أصل المسيح: الممسوح، صرف من مفعول إلى فعيل وسماه

الله بذلك لتطهيره من الذنوب.

وقيل: لأنه مسح من الذنوب والأدناس التى تكون فى الآدميين كما يمسح الشىء من الأذى الذى يكون فيه فيطهر منه.

ومعنى روح منه [1] اختلف فيه أهل العلم:

فقال بعضهم: معنى قوله: وروح منه: ونفخة منه لأنه حدث عن نفخة جبريل عليه السلام فى مريم بأمر الله عز وجل إياه بذلك فنسب إلي أنه روح من الله عز وجل؛ لأنه بأمره كان. إنما سمى النفخ روحا لأنه ريح تخرج من الروح.

وقال آخرون: معنى ذلك: وروح من الله خلقها فصورها ثم أرسلها إلى مريم فدخلت فى فيها فصيرها الله تعالى روح عيسى عليه السلام.

إيمانه وورعه عليه السلام:

روى [2] عن بعض السلف أن عيسى عليه السلام كان يلبس الشعر ويأكل من ورق الشجر ولا يأوى إلى منزل ولا أهل ولا مال ولا يدخر شيئا لغد.

وقال بعضهم: كان يأكل من غزل أمه عليه السلام وروى ابن عساكر عن الشعبى أنه قال: كان عيسى عليه السلام إذا ذكر عنده الساعة صاح ويقول: لا ينبغى لابن مريم أن تذكر عنده الساعة ويسكت.

(1) تفسير الطبرى: ط دار الفكر.
(2) البداية والنهاية: لابن كثير، الجزء الأول، ط دار المعرفة، بيروت.

وقال: [1] الفضيل بن عياض، عن يونس بن عبيد كان عيسى عليه السلام يقول: لا نصيب حقيقة الإيمان حتى لانبالى من أكل الدنيا قال الفضيل: وكان عيسى يقول: فكرت فى الخلق فوجدت من لم يخلق أغبط عندى ممن خلق وعن الحسن قال: إن عيسى عليه السلام رأس الزاهدين يوم القيامة.

وعن يحيى بن سعيد قال: كان عيسى يقول: اعبروا الدنيا ولا تعمروها.

وكان يقول: حب الدنيا رأس كل خطيئة والنظر يزرع فى القلب الشهوة وحكى وهيب بن الورد مثله وزاد ورب شهوة أورثت أهلها حزنا طويلا.

وعن عيسى عليه السلام: يا ابن آدم الضعيف اتق الله حيثما كنت وكن فى الدنيا ضيفا واتخذ المساجد بيتا وعلم عينيك البكاء وجسدك الصبر وقلبك التفكر ولا تهتم برزق غد فإنها خطيئة.

وقال سفيان الثورى: قال عيسى ابن مريم: لا يستقيم حب الدنيا وحب الآخرة فى قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار فى إناء.

معجزات عيسى عليه السلام:

قال الله تعالى: **{إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَـرَّبِينَ ***

(1) المرجع السابق.

وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاء إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ * وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ * وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [1] صدق الله العظيم.

معجزة الكلام فى المهد:

{وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً}.

المهد: مضجع الصبى فى رضاعة أى يكلم الناس طفلا فى المهد دلالة على براءة أمه مما قذفها به المفترون من بنى إسرائيل وحجة له عليه السلام على نبوته.

معجزة خلق عيسى للطير بإذن الله:

روى [2] أن عيسى عليه السلام جلس يوما مع غلمان من الكتاب فأخذ طينا ثم قال: أجعل لكم من هذا الطين طائرا قالوا: وتستطيع ذلك؟!

قال: نعم بإذن ربى سبحانه وتعالى.

ثم هيأه حتى إذا جعله فى هيئة الطائر نفخ فيه ثم قال: كن

(1) الآيات رقم (45-49) من سورة آل عمران .
(2) الصاوى على الجلالين: ج 1، ط الحلبى.

طائرا بإذن الله فخرج يطير بين كفيه فخرج الغلمان بذلك من أمره فذكروه لمعلمهم فأفشوه فى الناس وترعرع.

فهمت به بنوا إسرائيل فلما خافت أمه عليه حملته على حمير لها ثم خرجت به هاربة.

معجزة إبراء الأكمه والأبرص:

الأكمه: هو الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل فهو يتكمه أو هو: الأعمى الذى ولدته أمه كذلك.

الأبرص: هو بياض يصيب بعض الجلد فيجعله مشوها وإنما أخبر الله عز وجل عيسى عليه السلام أن يقول ذلك لبنى إسرائيل احتجاجا منه بهذه العبر والآيات والمعجزات عليهم فى نبوته وذلك أن الكمه والبرص لا علاج لهما فكان ذلك من أدلته على صدق قوله إنه لله رسول لأنه من المعجزات مع سائر الآيات التى أعطاها الله إياها دلالة على صدق نبوته.

معجزتة إحياء الموتى:

وكان إحياء عيسى عليه السلام للموتى بإذن الله أى إرادته وقدرته لا بإرادته وقدرته هو فإنه لايحيى الموتى إلا الله عز وجل أو من أذن له الله.

قيل: أنه أحيا سام بن نوح فكلمهم وهم ينظرون وذهب بعض المفسرين المحدثين إلى أن المراد إحياء موتى القلوب والنفوس وهو تأويل فاسد بكل المقاييس منكر لإحدى معجزات عيسى عليه السلام

التى اختصه الله بها وإلا فإن أكثر الصالحين يحيون موتى القلوب والنفوس.

معجزة إخباره بما يأكلون وما يدخرون:

فكان عليه السلام يخبرهم -أى قومه- بما يأكلون بما لم يعاينه أو يشاهده معهم فى وقت أكلهم له وكان عليه السلام يخبرهم أيضا بما يدخرونه وما يخبئونه.

عن الإمام السدى قائلا: كان عيسى ابن مريم عليه السلام يحدث الغلمان وهو معهم فى الكتاب بما يصنع آباؤهم وبما يرفعونه لهم وبما يأكلون ويقول للغلام انطلق فقد رفع لك أهلك كذا وكذا وهم يأكلون كذا وكذا فينطلق الصبى فيبكى على أهله حتى يعطوه ذلك الشىء فيقولون له من أخبرك بهذا؟ فيقول: عيسى ابن مريم فذلك قوله تعالى:{وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}.

فحبسوا صبيانهم عنه وقالوا: لا تلعبوا مع هذا الساحر فخبؤهم فى بيت فخابر عيسى يطلبهم فقالوا له ليس هم هنا..

وقيل: أنه عليه السلام كان يقول لأحدهم يا فلان لقد أكلت كذا وكذا فى يومك وادخرت كذا فى بيتك وذلك بغير تفكير منه أو استنطاق لرمل أو أرقام كما يفعل الدجالون الآن - ولعل المراد أنه كان يعلمهم عناصر الأغذية وخواصها وكيف يحفظونها ويدخرونها وهو باب يدخل ضمن أبواب الأدوية والعلاجات وقد تخصص

فيهما معجزة لـه عليه السلام.

معجزة نزول المائدة لقومه لما طلبوا منه :

قال تعالى:{إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء قَالَ اتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ *قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ *قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء تَكُونُ لَنَا عِيداً لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ *قَالَ اللّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ} [1].

ومضمون هذه المعجزة العظيمة التى سألها بنو إسرائيل لتنزل عليهم ويأكلون منه كالآتى:

مضمونها [2] أن عيسى عليه السلام أمر الحواريين بصيام ثلاثين يوما فلما أتموها سألوا من عيسى إنزال مائدة من السماء عليهم ليأكلوا منها وتطمئن بذلك قلوبهم أن الله قد تقبل صيامهم وأجابهم إلى طلبهم وتكون لهم عيدا يفطرون عليها يوم فطرهم. والمعنى[3] أن نتخذ يوم نزولها عيدا نعظمه ونصلى فيه نحن ومن يجئ بعدنا فنزلت فى يوم الأحد فاتخذه النصارى عيدا.

فوعظهم [4] عيسى فى ذلك وخاف عليهم أن لا يقوموا

(1) من الآية رقم (112-115) من سورة المائدة.
(2) البداية والنهاية: ابن كثير، ط دار المعرفة.
(3) الفتوحات الإلهية: للجيلى الشهير بالجمل، ط دار الفكر .
(4) البداية والنهاية ابن كثير، ط دار المعرفة.

بشكرها ولا يؤدوا حق شروطها فأبوا عليه إلا أن يسأل لهم ذلك من ربه عز وجل، فلما لم يقلعوا عن ذلك قام إلى مصلاه ولبس مسحا من الشعر وصف بين قدميه وأطرق رأسه وأسبل عينيه بالبكاء وتضرع إلى الله فى الدعاء والسؤال أن يجابوا إلى ما طلبوا فأنزل الله تعالى المائدة من السماء والناس ينظرون إليها تنحدر بين غمامتين وجعلت تدنوا قليلا قليلا وكلما دنت سأل عيسى ربه عز وجل أن يجعلها رحمتة لا نقمة وأن يجعلها بركة وسلامة فلم تزل تدنوا حتى استقرت بين يدى عيسى عليه السلام وهى مغطاة بمنديل فقام عيسى يكشف عنها وهو يقول: بسم الله خير الرازقين.

وقيل: لم يكشفها هو بل قال: ليقم أحسنكم عملا فيكشف عنها ويسمى الله فقام شمعون رئيس الحواريين. فقال: يا روح الله: أمن طعام الدنيا أم من طعام الجنة؟ فقال عيسى: ليس من هذا ولا من هذا، ولكنه شىء اخترعه الله بقدرته فكلوا مما سألتم فقالوا: يا روح الله: كن أنت أول من يأكل منها فقال: معاذ الله أن آكل منه يأكل منها من سألها فخافوا أن يأكلوا فدعا لها أهل الفاقة والمرض والبرص والجزام والمقعدين فقال: كلوا مما رزق الله لكم الهناء ولغيركم البلاء فأكلوا منها وهم ألف وثلاثمائة رجل وامرأة وفى رواية وهم سبعة آلاف وثلاثمائة فلما أتموا الأكل طارت المائدة وهم ينظرون حتى توارت عنهم ولم يأكل منها مريض أو مبتلى إلا عوفى وندم من لم يأكل منها فمكثت تنزل أربعين صباحا فإذا

نزلت اجتمع لها الأغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء يأكلون منها [1].

وفى القرطبى: فكانت تنزل يوما ولا تنزل يوما كناقة ثمود ترعى يوما وتشرب يوما فمكث أربعين يوما تنزل ضحى ولا تزال هكذا حتى يضئ الفئ من موضعه.

فيأكل الناس منها ثم ترجع إلى السماء والناس ينظرون إلى ظلها حتى تتوارى عنهم فلما تمت أربعون يوما أوحى الله لعيسى عليه السلام يا عيسى: اجعل مائدتي هذه للفقراء دون الأغنياء فتمارى الأغنياء فى ذلك وعادوا الفقراء اهـ.

وقد [2] روى عن عمار بن ياسر عن النبي ﷺ قال: نزلت المائدة من السماء خبز ولحم، وأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا ولا يرفعوا لغد فخانوا ورفعوا وادخروا ورفعوا فمسخوا قردة وخنازير، أي فمسخ الله منهم ثلاثمائة وثلاثين رجلاً باتوا ليلاً مع نسائهم ثم اصبحوا خنازير ولما أبصرت الخنازير عيسى بكت وجعلت تطيف به وجعل يدعوهم بأسمائهم فيشيرون برؤوسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا [3].

وفي القرطبي: فعاشوا سبعه أيام وقيل أربعة أيام ثم دعا الله عيسى أن تقبض أرواحهم فأصبحوا لا يدري هل الأرض ابتلعتهم

(1) الفتوحات الإلهية: للجيلى الشهير بالجمل، ج1، ط دار الفكر، بيروت .
(2) البداية والنهاية: لابن كثير، ج1، ط دار المعرفة، بيروت.
(3) الفتوحات الإلهية: للجمل، ج1، ط دار الفكر.

أو ما فعل الله بهم.

وقد اختلف العلماء[1] في المائدة هل نزلت أم لا فالجمهور أنها نزلت كما دلت عليه هذه الآثار وكما هو المفهوم من ظاهر سياق القرآن الكريم ولا سيما قوله تعالى:{...إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ...} كم قرره ابن جرير والله اعلم.

وفاة عيسى عليه السلام:

حدث [2] القرآن الكريم أن الله تعالى لم يسمح لبني إسرائيل بقتل عيسى أو صلبه وإنما نجاه الله تعالى من كفرهم ورفعه إليه فما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم.

قال الله تعالى في سورة النساء:{وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ...} [3].

* * * * * * * * * *

(1) البداية والنهاية: ابن كثير ج1، ط دار المعارف.
(2) أنبياء الله: لأحمد بهجت، ط الريان.
(3) الآيتان رقم (157، 158) من سوره النساء.